بالعربي

فزعة «الشيعة» في الخليج، بعد تصريحات الرئيس المصري، حقيقة أم وهم؟

خلال أكثر من ثلاثة أيام متواصلة بعد تصريحات، الرئيس المصري حسني مبارك (تلفزيون العربية، يوم السبت ٨ إبريل ٢٠٠٦) التي أعلن فيها رأيه الشخصي أن غالبية شيعة العراق والمنطقة ولاؤهم لإيران، ظهرت على صفحات الإعلام المقروء والمسموع والمرئي فزعة منظمة لجماعات من «الشيعة» تعلن رفضها وتكذيبها لهذا الرأي، مؤكدين أن ولاءهم لأوطانهم العربية والإسلامية، ووصلت هذه الفزعة لدى بعض من هذه الجماعات في البحرين إلى حد مطالبة السفير المصري بتفسير رسمي لتلك التصريحات، واتصلت هذه الجماعات التي ادعت أنها تمثل «التحالف الرباعي» في البحرين، بسعادة السفير، لمعرفة رأيه... ومن مظاهر فزعة الغضب تلك أن بعضا من إخواننا المصريين في البحرين تسلم تهديدات بالضرب (كنا نتمنى أن توجه هذه التهديدات إلى المحتلين وليس لإخواننا العرب)، وتسلم السفير المصري العديد من برقيات الاستنكار، كما أعلنت حركتا أمل وحزب الله في لبنان، وبعض «القيادات الشيعية» في العراق، رفضها لتلك التصريحات... الخ.

ونحن إذ نمتلك رؤيتنا وتفسيراتنا السياسية لتصريح الرئيس حسني مبارك، الذي جاء في فترة من أكثر الفترات السياسية والعسكرية تفجراً في ظل الاحتلال الأنجلوأمريكي والصهيوصفوي في العراق، تلك الرؤية والتفسيرات التي سنرجع لها في مقالنا القادم، نرى أننا بحاجة ماسة إلى التوقف أمام مظاهر تلك الفزعة المفتعلة والمبرمجة ضد التصريح قبل أن تنطلي بشكل أو بآخر على المواطن العادي في ظل ظروف يشوبها الغموض واختلاط الأوراق بشكل متعمّد ولأهداف سياسية بعيدة المدى.

يبدو واضحاً من فزعة الرفض تلك، ان عملية التصدي للتصريح كانت منظمة ومبرمجة وجاءت بإملاءات من مصدر واحد.. وكنا نتمنى لو جاءت تلك الفزعة الكبرى عند حدوث الاحتلال في العراق، وخصوصاً بعد أن رفضت جماعات قوية من «الشيعة» (ذات الولاء لإيران) المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق، كما أملاها عليهم المصدر الرئيسي المستفيد من هذا الاحتلال مباشرة، وهذه الاستفادة ظهرت جلياً بعد ذلك في نصوص الدستور العراقي الذي فرض على العراق الواحد أن يتقسّم إلى فيدراليات لن يكون في مصلحة أي طرف غير الطرف الإيراني المساهم مباشرة في وجود الاحتلال في العراق.. وكنا نتمنى لو سمعنا تلك الفزعة ضد السيد الأبطحي، المستشار السياسي للرئيس محمد خاتمي، عندما أعلن في ديسمبر ٢٠٠٣ العون والمساعدة التي وفرتها إيران للقوات الأمريكية لتحتل أفغانستان والعراق، ولولا هذا العون لما حصل الاحتلالان، بحسب تصريحات الأبطحي.. وكنا نتمنى أن نسمع عن جزء من فزعة تلك الجماعات «الشيعية» بعد تصريحات عبدالعزيز الطباطبائي الحكيم، عندما تسلم رئاسة مجلس الحكم في العراق تحت سلطة الحاكم الأمريكي بريمر، ومطالبته العراق بدفع مائتي مليار دولار كتعويضات لإيران عن الحرب العراقية الإيرانية.. وكنا نتمنى أيضاً أن نسمع من كل تلك الأطراف رفضهم وفزعتهم ضد تصريحات الطباطبائي الحكيم نفسه، عندما طلب من إيران التفاوض مع الولايات المتحدة حول العراق، وكأن العراق ولاية إيرانية.. (يؤكد القيادي البارز في حزب الدعوة السيد عادل رؤوف بأن هذه العائلة إيرانية الأصل، في كتابيه «العراق بلا قيادة، قراءة في أزمة القيادة الإسلامية الشيعية في العراق الحديث» و«محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين»، من منشورات المركز الإعلامي العراقي للدراسات، ٢٠٠٥).

وبعد كل ذلك، وبعد كل المذابح والسجون الإيرانية الجارية في العراق، ألا نستحق نحن الشيعة بأن ينسب ولاؤنا جوراً إلى إيران، المتحكّم الأول في مصير العراق والمنطقة تحت مظلة كل القوى الاستعمارية الجديدة منذ بدء الاحتلال؟.. فهل هناك من يفسر لنا موقف الشيعة السياسي المسالم والمتحالف مع الاحتلال في العراق، بحجة المقاومة السلمية؟.. في الوقت الذي يطالبون فيه بعدم انسحاب المحتل الأمريكي خوفاً من مزاعم الحرب الأهلية والطائفية؟..

هذا جزء بسيط من المواقف والتصريحات والسياسات المتناقضة للشيعة (الموالين لإيران) في المنطقة، وكلها لا تجد تفسيراً غير ما قاله الرئيس المصري في تصريحاته تلك، فيا ترى هل هذا هو واقع حال الشيعة أم هو ما تحاول إثباته جوراً بعض الأطراف، بهدف تحقيق مصالح إيران أيضا؟... وخصوصاً عندما نعلم ان تاريخ شيعة العراق يؤكد أن كل الحركات والأحزاب القومية والعروبية والمناهضة للاستعمار على مدار التاريخ الحديث للعراق كان مؤسسوها هم أبناء الشيعة. وللأهمية نورد هنا بعض الأمثلة من أسماء بعض تلك الأعلام العراقية وأحزابها القومية، وهم: السيد محمد مهدي كبه مؤسس حزب الاستقلال العراقي في أوائل القرن الماضي، عبدالرزاق شبيب مؤسس الحزب العربي الاشتراكي، حامد الجبوري وسلام أحمد الياسري مؤسسا حركة القوميين العرب، فؤاد الركابي وسعدون حمادي مؤسسا حزب البعث العربي الاشتراكي.. والعشرات غيرهم.

وأخيراً، إذ أننا نؤكّد أن نسبة عدد الشيعة للسنة التي ذكرها الرئيس المصري، ما هي إلا أرقام وهمية جاء بها الاحتلال بهدف تغيير الوقائع العراقية، ولم تكن موجودة ضمن أية سجلات أو وثائق إحصائية سابقة أو لاحقة، وان كل العشائر العراقية التي تنقسم بين المذهبين ولاؤهم للعراق والعروبة، ولن يكون لإيران قط، وهم منخرطون في المقاومة المسلحة ضد المحتلين.. فإننا نؤكد أن لنا رجوع إلى تصريحات الرئيس حسني مبارك في مقال قادم.

سميرة رجب

sameera@binrajab.com